العرب
الثلاثاء 2019/09/24
السنة 42 العدد 11477

الكتاب السودانيون تجاوزوا سقف الطيب صالح

الناقد السوداني عزالدين ميرغني: الكتاب الشباب هم الأبرز في السودان اليوم

عدا بعض الأسماء القليلة مثل الطيب صالح، لا يعرف القارئ العربي الكثير عن الأدب السوداني، الذي يعتبر خلطة سحرية من الأدب العربي والأفريقي، وله عوالمه الخاصة والفريدة، وهو ما يثبته الإنتاج السردي السوداني في السنوات الأخيرة. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الناقد السوادني عز الدين ميرغني للتعرف أكثر على المشهد الثقافي السوداني عامة والنقدي والروائي والقصصي خاصة.

الأدباء السودانيون انطلقوا من القاع (لوحة للفنان إبراهيم صلاحي)

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يتمتع الناقد السوداني عزالدين ميرغني بحضور فاعل في المشهدين النقدي والثقافي العام في السودان، ففضلا عن كونه ناقدا يضيء برؤاه المتميزة جديد المشهد الإبداعي في القصة والرواية والشعر، فهو إعلامي يدير البرامج الثقافية في قناة أم درمان الفضائية، وأيضا متخصص بالترجمة من وإلى الفرنسية.

بدأ ميرغني كاتبا للقصة القصيرة، لكن زخم انشغاله بالترجمة والنقد والإعلام حال دون إصداره لقصصه التي ينوي حاليا أن يصدرها مجموعات متعاقبة.

تجاوز الطيب صالح

بداية يحدثنا عزالدين مرغني عن تجربته كقاص، يقول "كتابتي للقصة بدأت مبكرا، وكنت أنشر بعضا من نصوصي في الملاحق الثقافية. ووجدت استحسانا، ولعل النشأة في الريف جعلتني استمد منه العديد من النماذج الإنسانية المتفردة غير الموجودة في المدينة. عندي مجموعة جاهزة للنشر. ولعل قلة النصوص عندي، لانشغالي بالنقد والترجمة، ولعل الناقد الذي بداخلي يراقبني بقوة كي لا تخرج إلا النصوص الجيدة وغير المستنسخة".

عزالدين ميرغني

الجدد استفادوا من الأنترنت للتجديد في كتابة الرواية

ويؤكد مرغني أن المشهد الروائي السوداني يتمتع بعدد كبير من الروائيين الذين يثرون الرواية العربية، ويوضح "كما قال الناقد المصري جابر عصفور، إن هذا الزمن هو زمن الرواية، وهذه المقولة تنطبق على السودان، إذ هنالك اهتمام كبير بكتابتها خاصة من جانب الشباب، لعلها تأتي بالشهرة والفوز في المسابقات، ولذا ما نُشر في السنوات العشرين الأخيرة يفوق ما نشر منذ الاستقلال. وهنالك أسماء فازت في البوكر وجائزة كتارا الدولية مثل أمير تاج السر وعلي الرفاعي وعمر فضل الله. وأخذ الشباب يميل إلى توظيف التاريخ السوداني لنقد الحاضر بالماضي، ثم الاستفادة من الأساطير والتراث السوداني القديم في كتابة الرواية".

ويرى ميرغني أن الرواية السودانية حققت إضافة إلى منجز الطيب صالح وغيره من الروائيين الرواد. ويضيف "كان البعض من النقاد يظن بأن الطيب صالح سيكون سقفا للرواية السودانية مثل نجيب محفوظ في مصر، ولكن الكتاب السودانيون تجاوزا هذا السقف ولم يصبح عقدة عندهم، كما حدث في مصر، فكما قال الناقد الفرنسي سارتر لا يمكن لأي رواية أن يكتب مثلها سوى كاتبها، فظهرت العديد من النصوص الروائية في الشكل والمضمون والبحث في المسكوت عنه، وخاصة الكتابة عن الغلابة والمهمشين والمنسيين في قيعان المجتمعات السودانية. وقد استفادت الأجيال الجديدة من وسائل التواصل الاجتماعي وسهولة الحصول على النسخ الإلكترونية من المواكبة والتجديد في كتابة الرواية، في معرفة التقنيات الجديدة والاستفادة منها في كتاباتهم ونصوصهم الروائية".

على الرغم من ثراء تجربة الطيب صالح الروائية إلا أن مرغني في كتابه عنه اكتفى بتناول شخصيات روايتي موسم الهجرة للشمال وعرس الزين، وقد علل ذلك بقوله "لعلهما يشكلان الروايات الأكثر شهرة، أو هما تمثلان عبقرية السرد عند أديبنا الطيب صالح، و'دومة ود حامد' و'بندر شاه'، هما أقرب للقصص الطويلة وقد يكون فيهما تشابه في المكان والزمان بين عرس الزين وموسم الهجرة، فاكتفيت بهاتين الروايتين. ولعل البصمة الأسلوبية وبلاغة السرد فيهما أقوى من بقية أعماله".

وحول أبرز الملامح التي تركتها تجربة الطيب صالح الروائية في الأجيال التالية عليه في السودان، يقول مرغني "الرواية السودانية في بداياتها الأولى تأثرت بالرواية المصرية وخاصة روايات نجيب محفوظ، وأخذوا (الأجيال) المفيد من تجاربه العميقة، ما أخذوه من الطيب صالح هو الجرأة في كتابة المسكوت عنه، ثم الاستفادة من العامية السودانية ومحاولة 'فصحنتها' وتحويلها إلى لغة سرد وقص، وهذا ما فعله الطيب صالح، أي تبسيط لغة السرد دون أن تفقد اللغة جمالياتها وخصوصيتها السردية، وأجمل ما أخذوه منه هو بطولة المكان في الرواية، بثقافته وشخصياته الإنسانية المنسية والمميزة في نفس الوقت، وأن كتابة الثقافة المحلية الخاصة هي التي تقود إلى العالمية".

ويلفت الناقد إلى أن المهمش والمسكوت عنه في المجتمع السوداني يعتبران من المحاور المهمة في الرواية السودانية الحديثة لدى أجيالها الجديدة، وأن المعالجات تتم بجرأة.

الأدب السوداني

يلفت مرغني إلى أنه من الغريب أن تاريخ القصة القصيرة في السودان أقدم وأعرق من الرواية، ويقول "القصة تقارب القرن في تاريخها والرواية السودانية بدأت في أواخر الأربعينات. ولكن كما ذكرت فإن البعض استسهل كتابة الرواية لأن بنيتها تتحمل الإسهاب وتعدد الشخصيات، في حين القصة تحتاج إلى مهارات فنية عالية في تكثيف اللغة والتقاط المشاهد الإنسانية الصغيرة. ولعل حمى الجوائز والشهرة التي تتيحها الرواية هي التي أغرت بكتابتها خاصة عند الشباب، لذا قلّ العدد المنشور من المجموعات القصصية، ما عدا بعض النصوص التي تنشر في الملاحق الثقافية. ولعل ضعف تدريس جامعاتنا لفن القصة له دخل في ذلك. وحتى في معارض الكتب الموسمية صار الناشرون لا يرحبون بعرض وبيع المجموعات القصصية. وأحسبها مشكلة تعم العالم العربي كله".

ويشير مرغني إلى أن كتابات المرأة السردية ظهرت بشدة في فترة التسعينات، صحيح أن أول رواية نسائية نشرت في عام سبعين من القرن الماضي، ولكن مرّت فترة ركوض وكمون، حتى نهاية الثمانينات، وهنالك عدة أسباب ساعدت في ذلك، منها هيمنة الكتابة الذكورية ثم عدم تشجيع دور النشر للكتابات النسائية. أما في السنوات الأخيرة فقد ظهرت روائيات بنصوص تعكس قضايا المرأة الخاصة والعامة في مجتمعاتنا السودانية، وتدافع عن حقوقها بجرأة محمودة وليس فيها التعدي على الخطوط الحمراء للمجتمع إلا نادرا.

ويؤكد مرغني أنه "لا شك بعراقة وقدم كتابة الشعر في السودان، وخاصة عند الفقهاء وأهل التصوف حتى العصر الحديث، فظهرت كتابة الشعر الرصين المقفى والموزون، وظهرت أسماء كبيرة ومعروفة، ثم مرحلة الشعر الحر أو قصيدة التفعيلة. والآن وسط الأجيال الجديدة هنالك من لا يزال يكتب القصيدة العمودية ويشارك بها في المهرجانات العربية المعروفة، مثل مسابقة أمير الشعراء والتي وصلوا فيها إلى مراتب متقدمة مع تزامن ذلك مع ظهور قصيدة النثر، ولكن بدأ البعض يستسهل الكتابة بالعامية وانتشرت بشدة وسط الشباب. ولعل ضعف المستوى الشعري، في رأيه، يرجع إلى قلة وضعف القراءات الجادة وسط الشباب ثم ضعف مستوى اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا.

ويقول مرغني "للأسف العلاقة ضعيفة بين الإعلام المرئي والمطبوع والمسموع وبين الثقافة والإبداع في السودان كأغلب أجهزة الإعلام العربي تأتي الثقافة والإبداع في ذيل اهتماماته، فالصحف السودانية لا تهتم بالصفحات أو الملاحق الثقافية ولا بكتابات المبدعين، كما لا توجد مجلات ثقافية دورية متخصصة في السودان، وحتى التي قامت قديما توقفت الآن. ولا توجد في قنواتنا الفضائية برامج ثابتة وقوية لنشر الثقافة والاهتمام بها وبأخبارها ومنتدياتها إلا في حالات نادرة. وهذه الأجهزة الإعلامية لا تستقطب المبدعين ولا توظف إمكاناتهم الكبيرة في توجيه وإدارة دفة الثقافة في بلد يعتبر غنيا بتعدده وثرائه الثقافي".

> المشهد الروائي السوداني يتمتع بعدد كبير من الروائيين الذين يثرون الرواية العربية وخاصة من الأجيال الجديدة

ويرى عزالدين ميرغني أن النقد هو الحلقة الأضعف في العملية الإبداعية الأدبية في السودان، فالنقاد قلة يعدون على أصابع اليد، ويقصد بهم الفاعلين في الحراك الإبداعي وخاصة في مجال السرد. وهذه القلة بالطبع لا تستطيع مواكبة الكثرة والأعداد المنشورة في مجال القصة القصيرة والرواية والشعر على قلته. فأُهملت العديد من النصوص الجيدة وخاصة في الرواية وهي الأوفر حظا في الطباعة والنشر ولكنها الأقل في التحليل النقدي. ولعل هذا يعود إلى ضعف تدريس المناهج النقدية الحديثة في جامعاتنا، ثم ضعف اللغات الأجنبية والتشجيع على التأليف والنشر في مجال النقد.

أمجد أبوالعلاء: السودان بلد الحكايات غير المروية والوجوه غير المرئية

السينما ليست فنا جديدا في السودان، حيث يعود تاريخها إلى الخمسينات من القرن الماضي، لكن الإنتاج السينمائي تعطل في البلاد لأسباب عديدة، وأغلقت دور العرض، على الرغم من أن السودان بلد يتمتع بخزان هام من الحكايات والمواهب التي يمكن من خلالها خلق سينما تنطلق من المحلية إلى العالمية. وربما مع بروز أجيال جديدة من المبدعين السودانيين اليوم، أجيال طموحة، يمكن أن تعود عجلة الإنتاج السينمائي بشكل أفضل.

سامح الخطيب

الجونة (مصر) – لم يكن السوداني أمجد أبوالعلاء مخرج فيلم "ستموت في العشرين" يتوقع أن يحصد جائزة "أسد المستقبل" بمهرجان البندقية، ورغم سعادته الغامرة بهذا المنجز للسينما السودانية فإنه يرى القادم أصعب.

> بعد نيله جائزة «أسد المستقبل» في البندقية فيلم «ستموت في العشرين» في مسابقة مهرجان الجونة السينمائي

وقال أبوالعلاء، في مقابلة معه، "منذ بداية التحضير للفيلم كان في خيالي مستوى الفيلم الذي أريد تقديمه، لكن بالتأكيد لم أتوقع الحصول على جائزة من مهرجان البندقية.. كانت مفاجأة رائعة". ويمنح مهرجان البندقية جائزة "أسد المستقبل" للمخرجين الواعدين أصحاب العمل الأول.

وقال المخرج السوداني "الجائزة تعني الكثير بالنسبة إليّ على المستوى الشخصي وكذلك للسينما السودانية. أعتقد أنها ستتيح الفرصة لإلقاء المزيد من الضوء على البلد وفنونه".

وأضاف "سقف الطموح ارتفع، وهذا يشعرني بالقليل من الخوف من القادم. لا أتمنى أن أقع في فخ الانتظار الطويل حتى أجد عملا بنفس المستوى فتتعطل مسيرتي".

وفيلم "ستموت في العشرين"، الذي عرض لأول مرة بالعالم العربي في مهرجان الجونة السينمائي بمصر هذا الأسبوع، هو الفيلم الروائي الطويل الأول لمخرجه بعد سلسلة من الأفلام التسجيلية، وهو السابع في تاريخ السينما السودانية.

يتناول الفيلم قصة مزمل الذي ولد في إحدى قرى السودان وحملته أمه إلى أحد المشايخ لمباركته، لكن المفاجأة كانت في نبوءة الشيخ بأن الرضيع سيموت عندما يبلغ عمر العشرين، فعاشت الأم طوال حياتها ترتدي الأسود حدادا على ابنها الذي ما زال حيا أمام عينيها، وكذلك عاش الابن حبيس النبوءة التي حرمته من الاستمتاع بأي شيء في الحياة حتى الفتاة الوحيدة التي أحبته وأحبها.

وقال أبوالعلاء "أتطلع لأن يشاهد الجمهور السوداني الفيلم، وهذا تحد آخر، إذ لا توجد دور عرض في السودان فمعظمها أغلق منذ عقود، وحتى مهرجان السودان للسينما المستقلة الذي بدأ قبل سنوات قليلة يقام في الهواء الطلق".

وأضاف "أعرف أن الكثيرين أصبحوا يريدون مشاهدة الفيلم الآن، ومعركتنا القادمة هي توزيعه عالميا وكذلك عرضه داخل السودان، وأظن أن هناك دار عرض جيدة في أحد المراكز التجارية سنتفق مع مسؤوليها لعرض الفيلم".

فيلم "ستموت في العشرين" مأخوذ عن قصة قصيرة بعنوان "النوم عند قدمي الجبل" للكاتب السوداني حمور زيادة. وبعد حصوله على حقوق النص حرص المخرج أمجد أبوالعلاء على أن تكون عناصر الفيلم معظمها سودانية.

فيلم يقتحم حكايا المنسيين خلف الجدران

وقال أبوالعلاء "عدم وجود صناعة سينما في السودان أو بنى تحتية لهذه الصناعة لا يعني أن أبناء السودان لا يستطيعون صنع أفلام، فنحن اليوم في عالم مفتوح".

وأضاف "بالتأكيد وجدت صعوبة في إيجاد كوادر فنية سودانية مؤهلة في الإضاءة والصوت والتصوير لكن حتى مع الاستعانة بعناصر وخبرات مصرية وأخرى أجنبية حرصت على أن تكون برفقتها مواهب سودانية شابة في كل تخصص للتعلم واكتساب الخبرة".

واستعان المخرج بمجموعة من الممثلين السودانيين، منهم من سبق له العمل بالسينما والبعض الآخر كانت هذه تجربته الأولى.

والفيلم بطولة مصطفى شحاتة وإسلام مبارك ومحمود السراج وبثينة خالد وطلال عفيفي وآمال مصطفى ورابحة محمود ومعتصم رشيد.

وقال أبوالعلاء "السودان بلد الحكايات غير المروية والوجوه غير المرئية".

وأضاف "دربت المجموعة على مدى عام ونصف حتى اكتسب الجميع الثقة، وأصبحنا متأكدين من جاهزيتنا للتصوير".

وحضر جميع أبطال "ستموت في العشرين" عرض الفيلم بمهرجان الجونة السينمائي حيث ينافس ضمن المسابقة الرسمية.